إنجيل يوحنا: رحلة الإيمان

«لتظهر أعمال الله»

(٩: ١-٥)

تأليف: بروس مكلارتي

هل الحياة هي مجرد حادث كبير؟ هناك سؤال يطرح باستمرار عن سبب وقوع الأحداث في حياتنا. وقد أصبحت الاحداث مصدر الهام اساسي للافلام الكلاسيكية والأدب، يطرح يومياً، وخاصة في أوقات الحزن والموت. لقد أوضح يسوع طريقة مميزة للإجابة على سؤال «لماذا؟» في نص هذا الدرس: ٩: ١-٥.

السؤال (٩: ١ و٢)

كان يسوع يجتاز مع تلاميذه في أحد الأيام بجوار الهيكل في أورشليم، عندما مر بمستعطي أعمى منذ ولادته (٩: ١). إذا كان ذلك شحاذاً عادياً فمن المحتمل انه لم يكن نظيفا، بل رث وبالي الثياب، وكان يعيش في عدم رجاء ويأس. كان يسوع وتلاميذه يرون الشحاذين كل يوم في أورشليم، ولكن لسبب ما كان منظر ذلك الإنسان الأعمى منذ ولادته قد جعل التلاميذ يطرحون سؤالاً على يسوع.

أرادوا أن يعرفوا رأي يسوع عن سبب ولادة ذلك الشخص اعمى (٩: ٢). هل كان اعمى بسبب خطايا هذا الإنسان أم خطايا والديه؟ كانوا يظنون بان المعاناة هي دائماً نتيجة للخطيئة. وبهذا فانه لابد بأن خطيئة شخص ما قد جعلت هذا الإنسان أعمى. هل كان ذلك بسبب خطية هذا الإنسان؟ إذا كان الأمر هكذا فلماذا وُلِدَ أعمى؟ طبعاً لا يمكن للطفل ان يرتكب خَطيئة قبل ولاته لكي يولد أعمى. إذن هل كان والدي هذا الإنسان هما اللذان أخطئا؟ قد يحتمل ذلك، ولكن إذا كان الوالدان هما اللذان أخطاءا فلماذا عانى هو بدلا عنهما؟

كان اصل سؤال التلاميذ بسبب اعتقادهم بان الخطية تسبب المعاناة، وبان هناك علاقة بين السبب والمسبب، اي بين الخطية والمعاناة. كانت تلك الفكرة شائعة منذ القدم. أحد أصدقاء أيوب الذي جاء ليحزن معه عندما فقد أيوب أولاده وغناه وصحته، قال لأيوب:

> اذكر من هلك وهو بريٌّ وأين أُبيدَ المستقيمون؟ كما قد رأيت أن الحارثين إثماً والزارعين شقاوة يحصدونها. بنسمة الله يبيدون وبريح أنفه يفنون. زمجرة الأسد وصوت الزئير وأنياب الأشبال تكسرت. الليث هالك لعدم الفريسة وأشبال اللبوة تبددت (أيوب ٤: ٧-١١).

تم التعبير عن المعاناة في ظروف مشابهة عندما سأل البعض يسوع عن «الجليلين الذين خلط بيلاطس دمهم بذبائحهم» (لوقا ١٣: ١). أرادوا ان يعرفوا ما كان يظنه يسوع بمذبحة الجليليين. مهما كانت نوايا الذين طرحوا السؤال، استخدم يسوع السؤال كفرصة ليعلم ان المعاناة والخطية ليس بالضرورة أن تكون لهما علاقة السبب والمسبب؛ معاناة معينة لا تكون لها دائماً جذور في خطية معينة. واستمر يسوع مذكرا اياهم بالثمانية عشر شخصاً الذين ماتوا عندما سقط عليهم البرج في سلوام. هل كانت خطاياهم مسببة لموتهم؟ ثم أجاب يسوع على السؤال الذي طرحه بنفسه عندما قال: «كلا أقول لكم، بل وإن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون» (لوقا ١٣: ٥).

ناقش معلمو اليهود هذا الموضوع على مدى السنين. لقد قال معلم يهودي اسمه آمي: «ليس هناك موت بدون خطيئة، ولا معاناة بدون إثم». يتضح بانه هو أيضاً كان يؤمن بان المعاناة تسببها الخطيئة.

قد تبدو وجهة النظر هذه في بادىء الأمر غريبة علينا، ولكن عند التدقيق بها نجد ان ارائنا هي أقرب إلى اراء التلاميذ . قد تعرفتُ على اباء وامهات فقدوا أطفالهم بطرق مأساوية وبسبب أمراض فتاكة أو حوادث محزنة جدا. بعد حدوث الواقعة، مروا جميعهم بفترة ليست بالقليلة يحاولون فيها معرفة ما كانوا قد فعلوه مما أدى إلى حدوث مثل هذه المآسي لأطفالهم. ربما كان ذلك نتيجة لخطايا ارتكبوها في شبابهم، هكذا ظن البعض. ربما أخطأوا إلى الله بطريقة فظيعة دون ان يدركوا ذلك. من المحزن ان بعض من الآباء والأمهات يعذبون أنفسهم في مثل هذه الحالات بهذه الأفكار لسنين عديدة. لربما لم يكن سؤال التلاميذ عن الإنسان الذي ولد أعمى سؤالاً غريباً لنا!

حتى لو لم نواجه مآسي فظيعة فان لغتنا تظهر احياناً باننا مازلنا نتمسك بالاعتقاد ان لكل سبب مسبب عندما يتعلق الأمر بالخطيئة والمعاناة. عندما نواجه محن أو ضيق ألا نسأل أحياناً: «ماذا فعلت حتى استحق هذا؟» ويظهر الشيء نفسه عندما نصرخ قائلين: «ان هذا ليس عادلاً!» عندما يحدث لنا شيء غير مرغوب فيه. هل نتوقع ان يكون كل شيء في الحياة عادلاً؟ هل نؤمن بان السرور هو دائماً نتيجة الخلق الجيد وبان الألم هو دائماً عاقبة الخطيئة؟

كثيرا ما نطرح السؤال نفسه الذي طرحه التلاميذ في وقت ما. عندما نواجه المحن، سواء كانت معاناتنا أم معاناة شخصاً آخر، نريد ان نعرف السبب في حدوث ذلك. السؤال «لماذا؟» لا تكون له دائما إجابة كاملة في الأسفار المقدسة. في الوقت الذي يُطرح فيه هذا السؤال عدة مرات إلا انه لم يجد أي شخص الإجابة الكاملة له. طرح أيوب نفس السؤال، واجابه الله بانه كإنسان لا يستطيع ان يفهم الجواب على ذلك السؤال (أيوب ٤٠؛ ٤١). «بسمع الأُذن قد سمعت عنك والآن رأتك عيني. لذلك أرفض وأندم في التراب والرماد» (أيوب ٤٢: ٥ و٦). وسأل حبقوق أيضاً سؤلاً مشابهاً، ولكن لم تُعطى له إجابة واضحة. وفي النهاية قرر ان يثق بالرب رغم انه لم يفهم فهما كاملاً:

> فمع أنه لا يزهر التين ولا يكون حمل في الكروم يكذب عمل الزيتونة والحقول لا تصنع طعاماً ينقطع الغنم من الحظيرة ولا بقر في المذاود فإني أبتهج بالرب وأفرح بإله خلاصي. الرب السيد قوتي ويجعل قدميّ كالأيائل ويمشيني على مرتفعات (حبقوق ٣: ١٧-١٩).

لم يجد هؤلاء الناس إجابة كاملة على السؤال «لماذا؟»، ولا حتى تلاميذ يسوع في الأصحاح التاسع من إنجيل يوحنا!

الإجابة (٩: ٣)

عندما سُئل يسوع عن سبب ولادة الشحاذ أعمى، أجاب قائلا: «لا هذا أخطأ ولا أبواه لكن لتظهر أعمال الله فيه» (٩: ٣). كان يسوع قد سُئل عما يسبب معاناة الإنسان. ولكنه رفض ان يعطي إجابة لذلك السؤال. ربما لأننا لا نقدر ان نفهم تماماً ما سيقوله الله لنا بخصوص هذا الموضوع. مع انه لم يقل للتلاميذ السبب الذي أدى إلى ولادة ذلك الرجل أعمى، إلا انه قال لهم القصد من حياة الرجل الأعمى، وهو: «لتظهر أعمال الله فيه».

كلمات يسوع عن هذا الامر تتعارض مع الطريقة التي نميل بها إلى وضع أولوياتنا في الحياة. ينص دستور الولايات المتحدة بأن للأمريكيين الحق في «الحياة، والحرية، والسعي وراء السعادة». عادة ما يسيء الناس فهم هذا ظانين بان القصد من الحياة هو تحقيق السعادة الفردية. عندما تكون لنا مثل وجهة النظر هذه، تكون كل المعاناة مانعة لسعادتنا، وهذا شيء مرعب. ولكن إن كنا نرى القصد من الحياة ان «تظهر أعمال الله» فاننا نرى معاناتنا بطريقة مشابهة تماماً كما نرى

بركاتنا: أي كطريقة لنمجد الله. تلك كانت رسالة يسوع لتلاميذه. رغم انه لم يخبرهم عن سبب ولادة ذلك الرجل أعمى، إلا انه أخبرهم بالقصد من حياة الرجل الأعمى: لتمجيد الله!

عندما أفكر «بالذين يظهرون أعمال الله» في المعاناة، نذكر عدة أشخاص. أحدهم شاب مختل العقل. أني متأكد بانه لا بد من ان الوالدين قد سألا نفسهيما مراراً وتكراراً عن السبب ولادة ابنهما بهذه الطريقة. سأتذكر دائماً الليلة التي اعتمد فيها ابنهما، عندما استجاب إلى الدعوة في نهاية الموعظة. لم تكن هناك اعين الا وذرفت الدمع عندما اعترف بإيمانه بيسوع وقال ببساطة رائعة: «أريد أن أعمل ما يريد الله لي ان أعمل». في تلك اللحظة أُظهر عمل الله في حياة ذلك الشاب.

أتذكر أيضاً واعظ أُبلغ باحتمال اصابته بمرض عضال. قال للكنيسة بانه صلى لله ان يعطيه الشفاء؛ ولكن إن لم يكن ذلك ممكنا، فسيطلب من الله أن يساعده لكي يظهر للكنيسة كيف للشخص ان يموت. وبعد شهور قليلة فعل كما قال؛ وفي موته ظهر عمل الله!

مثالاً اخر على اظهار عمل الله في وقت المحن كانت امرأة مسيحية صارعت مرض السرطان لمدة سنين وماتت قبل وقت قريب لتكون مع الرب. لقد سمعتُ عدة مرات الناس يقولون: «لماذا؟» عندما أنظر إلى الماضي في السنوات التي قضتها تلك المرأة مريضة، اقتنع بانها أظهرت عمل الله بمرضها بطريقة لا يفعلها إلا قليلون في الصحة الجيدة.

المثل الأسمي في العيش بهدف هو يسوع والصليب. لم يكن صلب يسوع عادلاً بل كان عمل قاسيا. كان ذلك يعتبر مآساة من عدة نواحي، ومع ذلك عُلق يسوع على الصليب لكي «تظهر أعمال الله» في حياته وموته. لم التقي شخصاً قط استطاع ان يفسر لماذا كان على يسوع أن يتألم على الصليب. لا أعتقد باننا سنفهم كل ذلك تماماً الا بعدما نصل الى السماء. ولكن حتى الطفل يستطيع ان يقدّر حقيقة انه تم اظهار عمل الله بطريقة رائعة لأن يسوع مضى إلى الصليب. لقد عاش ومات لأجل مقاصد الله.

كلنا نواجه ظروف تجعلنا نعتقد بان الله قد تخلى عنا وبانه لا يمكن استخدامنا بأية طريقة ممكنة لمجده. قد يقول البعض: «ولكنني مطَلّق»؛ «زواجي مضطرب»؛ «توجد مشاكل بيني وبين أولادي»؛ «أني مريض»؛ أو «أني متقدم جداً في السن أو لم ابلغ السن المناسب بعد». يدخل يسوع في عالمنا ويقول ما مضمونه: «لا أقول لك لماذا تواجه الصعوبات التي تواجها الآن، ولكن هذا ما أقوله لك: يمكن ان يظهر عمل الله في حياتك بغض النظر عن مشاكلك – وربما بسبب مشكلتك يظهر عمل الله في حياتك!»

مثالاً على ذلك هو بولس الرسول الذي كان عذابه بمثابة «شوكة في الجسد» (٢ كور ١٢: ٧). طلب بولس من الرب ثلاث مرات أن ينزع تلك الشوكة. أني متأكد بان بولس كان يتصور ما كان سينجزه لله لو كانت آلامه قد نُزعت منه، ومع ذلك رفض الرب ان ينزع الشوكة من جسده. بدلاً من ذلك، أعطاه الله هذه الرسالة: «تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تُكمل» (٢ كور ١٢: ٩). وأخيراً قبل بولس قرار الله بانه يظهر قوة الله بطريقة أفضل بضعفاته أكثر مما يظهرها بقدرته {الخاصة} وصحته الجيدة. وبهذا أعطانا بولس مثال لنتبع عند التعامل مع الآلام. أولاً نطلب من الله ان ينجينا من آلامنا. هذا رد فعل بشري طبيعي للآلام، ويصح أن نطلب من ينقذنا منها. الخطوة الثانية بالنسبة للمسيحي هي ان يقول لله: «ليأتيني ما يأتيني، ليتمجد اسمك في حياتي». مهما كانت حالاتنا، يمكن استخدامنا جميعنا لنظهر عمل الله!

بعد معركة مع مرض السرطان واستعادة مكانه في لعبة البيسبول، أصيب ديف درافكي بأذى أدى إلى نهاية مهنته كنجم في فريق «جاينتس» للبيسبول بمدينة سان فرانسيسكو. بعدها كتب قائلا:

> تدفعنا المأساة من خلال باب له اتجاه واحد، وحالما نمر به لا يمكن ان نعود أبداً إلى الحياة كما كانت قبل تلك المأساة ... لا يمكننا الرجوع مهما حاولنا في ذلك. كل ما

يمكن ان نعمل هو ان نكون شاكرين بسبب ما كان، بسبب الخير الذي كان، بسبب الأوقات السعيدة التي تمتعنا بها، من أجل الضحك، من أجل المحبة، من أجل الذكريات، ومن ثم نودع تلك الأزمنة والأحباء، يمكن ان نضع يدنا في يد الذي وضع مداراً للشمس والقمر والنجوم، ونثق بان له مسار لحياتنا أيضاً.

الخلاصة

السؤال الباقي في العالم هو: «هل يوجد للحياة معنى، أم انها مجرد لعبة الحظ؟» قد لا تكون لأهل العالم إجابة على هذا السؤال، ولكن توجد لاتباع يسوع الإجابة. نحن نعلم بانه مهما حدث لنا في هذا العالم يكون فيه احتمال استخدامنا لمجد الله. فبغض النظر عن ظروفنا، لنعش بحيث يمكن ان تظهر أعمال الله فينا .

دراسة الكتاب المقدس

■ يوجد هناك فرق أساسي بين السياح والمستكشفين. فالسياح ينتقلون بسرعة ويقفون فقط لمشاهد المناظر والمناطق الملفتة للانتباه. وأما المكتشفون فهم من ناحية أخرى يقضون وقت أكثر في البحث عن كل ما يمكن ان يجدوه. يقرأ الكثير منا الكتاب المقدس كأنهم سواح ومن ثم يتذمرون بان أوقات عبادتنا غير مثمرة. لا بد ان نقضي وقتاً في دراسة وفحص الكتاب المقدس. ستظهر حقائق هامة عندما نتعمق في ما وراء السطح.

■ يمكن دراسة الكتاب المقدس بطريقتين فقط:
(١) ان تدرسه عن ارادة وتصميم، أو
(٢) تدرسه لكي يجعلك تتخذ قراراً.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧